تحمل بطاقة زيارة المهاجر المغربي عبد السلام حبيب الله أحمد العديد من المهام الجمعوية، فهو رئيس للجمعية المغربية بجنوب إفريقيا، ورئيس للمجلس التنفيذي لاتحاد الجاليات العربية، ثم رئيس لمجلس جمعيات المهاجرين بهذا البلد الإفريقي، الذي يجلس القرفصاء على المحيط الهندي. وهو أيضا فاعل حقوقي مهتم بشؤون الهجرة، وله شبكة علاقات واسعة في بلد نيلسون مانديلا. في حواره مع «المساء» تحدث حبيب الله، عن صعوبة الاشتغال في بلد يعيش قطيعة سياسية مع المغرب، لكنه يصر على أن الخلاف السياسي لا يفسد للود قضية.

رئيس الجمعية المغربية في جنوب إفريقيا يروي لـ«المساء» هواجس الهجرة في بلد يقاطع المغرب

حبيب الله: نتصدى لكل محاولات النيل من وحدتنا الترابية ونعمل على نسفها

– كيف تولدت لديك فكرة الهجرة إلى جنوب إفريقيا؟

● هاجرت في بداية التسعينيات إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وبعد مدة قصيرة غيرت الاتجاه نحو جنوب إفريقيا مباشرة بعد بداية الجمهورية الجديدة، لكوني كنت دائما متعاطفا مع المؤتمر الوطني الإفريقي ومعجبا بنضالات هذا الشعب بزعامة مانديلا وسعيه إلى الانعتاق من القهر والعنصرية، وأيضا لكوني تقدميا مناصرا للتحرر. الحمد لله رغم أن المغاربة عموما لم يلتحقوا بهذا البلد إلا بعد انتهاء نظام الأبارتايد سنة 1994، فإن الجالية المغربية حاضرة بقوة في هذا البلد. لذا بدأت مشواري، أولا، في التحرك من أجل جمع شمل المغاربة المقيمين في جنوب إفريقيا، ومن هذا المنطلق بدأ التفكير في خلق إطار جمعوي يكون بمثابة ملتقى للمغاربة قبل أن تأخذ الفكرة بعدا مغاربيا وعربيا. وعلى المستوى العائلي أنا متزوج ولدي ثلاثة أبناء وعمري 54 سنة.

– ما هي خصائص الجالية المغربية مقارنة بالجاليات الأخرى؟

● تولدت بيننا قبل خلق التنظيم، علاقات متينة جدا، كنا نساعد بعضنا البعض، لأن خاصية الهجرة إلى جنوب إفريقيا تكمن في غياب تاريخ وجذور، أي أنها غير متجذرة، عكس الهجرات إلى أوربا، حيث يمكن للمغربي أن يرحل إلى دولة أوربية ويجد أحد أقاربه أو أصدقائه هناك. في جنوب إفريقيا لم تكن هناك مرجعية للهجرة المغربية، وهذه الخاصية تهم كل الجاليات العربية. لهذا منذ سنة 1997 شرعنا في خلق تقارب مع الإخوة الجزائريين نظرا لوجود قواسم مشتركة بيننا تاريخيا وطبيعيا وثقافيا ودينيا ولغويا أيضا. ومهمتنا الأولى هي حل النزاعات بين إخواننا في المهجر، أي أننا كونا، إن شئت، ما يعرف بالوسيط في المنظومة القضائية، نحل النزاعات دون أن تصل إلى أقسام الشرطة أو المحاكم.

– ما هي اهتمامات الجالية المغربية في هذا البلد؟

● الجالية المغربية المقيمة في جنوب إفريقيا من أول تجمعات المهاجرين التي انتظمت في إطار جمعوي. الحمد لله اليوم أصبحت لها مكانتها في المجتمع، وأصبحت بفضل التنظيم قوية ومتماسكة، يضرب بها المثل في المبادرات الاجتماعية. صحيح أن كل مهاجر له انشغالاته اليومية مع العمل ومع أسرته، لكن مغاربة جنوب إفريقيا يحركهم الهاجس الإنساني وربما هذا ما يميزهم عن بقية الجاليات.

– لكن حكومة جنوب إفريقيا اعترفت بالبوليساريو وتحولت إلى داعم له. كيف تتعايشون كمغاربة مع هذا الوضع السياسي؟

● نحن نعرف الوضع الحالي جيدا، ونسعى إلى تغييره من الداخل. لهذا نحاول قدر الإمكان التصدي لكل مناورات خصوم وحدتنا الترابية في جنوب إفريقيا. كلما عقدت مناظرة أو ندوة حول الصحراء نتجند للتدخل من أجل نسف كل مخطط يرمي إلى النيل من مغربية

الصحراء، ففي رمضان الماضي نظمنا إفطارا جماعيا حضره أفراد من الجالية الجزائرية وجاليات أخرى، أكدنا فيه أن الخلاف السياسي لا يؤثر على علاقاتنا هنا في المهجر. حين نحضر في ندوات يكون موضوع الصحراء مطروحا فيها نطالب بالحق في تفسير وجهة نظرنا للحاضرين ونتصدى لكل الأطروحات المعادية للوحدة الترابية، ونعتمد في هذا المجهود على جاليات صديقة مغاربية وفرانكوفونية بالخصوص.

– هذه المحطة النضالية قد تعرضك لمشاكل، خاصة في ظل اعتراف جنوب إفريقيا بالبوليساريو؟

● نعم، لقد تعرضنا لبعض المضايقات، لكن الشعب الجنوب إفريقي يؤمن بالاختلاف. وقد تم تهديدي وتخويفي بتجريدي من جنسية هذا البلد، كما تعرضت لمحاولة استقطاب، لكنني أؤكد من هذا المنبر أنه لا مطامح سياسية أو مادية لي، فأنا مواطن مغربي تحركني أفكار تقدمية، بحكم انتمائي السابق للشبيبة التقدمية، وأحترم قوانين هذا البلد الذي أقتات منه، لي حقوق وعلي واجبات، لكنني أناضل من أجل إعلاء صوت بلادي في بلد يساند التعددية ويدعمها. ونحن، كجالية، شاركنا في ملتقيات فكرية عديدة هنا، خاصة حول المسألة الحقوقية، ونحن نؤمن بالنضال الكبير ونعتز بمانديلا، بل نضع صورة كبيرة له في مكتبنا.

– غياب سفير مغربي والاكتفاء بقائم بالأعمال ألا يؤثر على المهاجر المغربي؟

● منذ سنة 2004 تم سحب السفير المغربي من جنوب إفريقيا، أي بمجرد اعتراف هذا البلد بالكيان الوهمي، حيث استدعت الحكومة المغربية سفيرها للتشاور، وظل المنصب شاغرا. لكن لا بد من التأكيد على أن العلاقات بين الطرفين قابلة للترميم، فقد زار قبل سنتين وزير خارجية جنوب إفريقيا المغرب، وأتمنى شخصيا إنهاء الخلاف لأن الشعب المغربي والجزائري وحتى الجنوب إفريقي هم المتضررون، والقائم بأعمال السفارة المغربية في بريتوريا شخص يقدر هموم وهواجس وانتظارات المهاجر المغربي، ويبذل جوهدا لتذليل الصعوبات قدر الإمكان.

– ما هي طبيعة المشاكل التي تعترض المهاجرين المغاربة؟ وكيف تساهم الجمعية في إيجاد حلول لها؟

● لا تختلف هموم ومشاكل مغاربة جنوب إفريقيا عن باقي الجاليات. لكن خاصية الهجرة المغربية أنها حديثة نسبيا من حيث الزمان وبعيدة من حيث المكان، فالبعد لا يشجع على الهجرة كما نعلم، خاصة إلى بلد إفريقي، لكن على المستوى الاجتماعي نسعى إلى التصدي لبعض الاختلالات، فمثلا نخصص ألف دولار لكل جنازة، بل نتكفل بلوازم الدفن والترحيل إلى المغرب. كما ندعم القدرات الشرائية للمغربيات الأرامل والمطلقات وبعض الحالات التي تقتضي الدعم، حيث نوفر ما بين 10 و15 خروفا في عيد الأضحى، وفي الدخول المدرسي نوفر اللوازم المدرسية للذين لا تسمح لهم ظروفهم بتحمل نفقات إضافية. والهاجس الاجتماعي يسير في نفس الاتجاه مع المبادرات السياسية، حيث ننظم حلقات تكوينية، من أجل توثيق الروابط بين المهاجر المغربي وبلده أولا، وبينه وبين الجاليات العربية والمغاربية ثانيا.